Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

# A critical study of the foundations of humanistic thought and its social effects

**Ibrahim al-Shakhs**
Ph.D. student in Jurisprudence (Fiqh) and Islamic knowledge – Islamic Philosophy Branch, Aalul-Bayt University, Saudi Arabia. E-mail: Ibrahim@gmail.com

## Abstract

Humanism is one of the contemporary ideas that affect Western thinking with its various orientations. Humanism has appeared as reactions against the dominance of Christian Church over social and scientific life. Humanism so soon took on an anti-religious situation. However, modern humanism has general principles that may not openly announce hostility to religion, but it does have hostility towards religion by rejecting the religious teachings, being satisfied only with human sciences and establishing ethical foundations that do not depend on religion. Humanism has founded a worldview, in which man would be the axis of everything, and that God would have nothing to do with man's life, saying that religious beliefs have no influence on life; and so, religion is of no importance to man. Therefore, religious and irreligious people are the same according to the humanistic thought. Although the religious thought believes that God is the axis of everything and that man is not but a slave (to God) who should manage his life according to the divine orders; it gives too much regard to man's capabilities and role in life, but to limit man's ability and life to the material side. Religious thought says that the loss of morality leads to a savage life full of fighting and aggression over transient pleasures.The study follows the descriptive, analytical approach in showing humanism, and the analytical-critical approach to criticize the principles of humanism and their consequences.

**Keywords:** humanism, human dignity, intellectual freedom, religion and man.

---

Al-Daleel, 2023, Vol. 6, No. 19, PP .145-165

Received: 13/01/2023; Accepted: 15/02/2023

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

©the author(s)

مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
الدليل Al-Daleel

# دراسة نقدية لمباني الفكر الأنسني وآثاره الاجتماعية

**إبراهيم الشخص**

طالب دكتوراه في الفقه والمعارف الإسلامية ـ فرع الفلسفة الإسلامية، جامعة آل البيت عليهم السلام، السعودية.

البريد الإلكتروني: Ibrahim@gmail.com

## الخلاصة

تعدّ فكرة الأنسنة من الأفكار المعاصرة المؤثّرة في مفاصل الفكر الغربي بتوجّهاته المختلفة، وقد نشأت في أجواء ردود فعل على تسلّط الكنيسة المسيحية على الحياة الاجتماعية والعلمية، وسرعان ما أخذت طابعًا معاديًا للدين، وقد تضمّن الفكر الأنسني الحديث مبادئ عامّةً قد لا تصرّح بمعاداة الدين، إلّا أنّها ضمّنت المعاداة للدين انطلاقًا من رفض التعاليم الدينية والاكتفاء بالعلم الإنساني، ثمّ تأسيس مبانٍ أخلاقية لا تعتمد على الدين، ورؤية كونية يكون المحور فيها هو الإنسان وأنّ الخالق ليس له أيّ مدخلية في سير الحياة، وصولًا إلى كون الاعتقاد الديني لا يؤثّر في الحياة، فلا أهمّية له، فالمتديّن والملحد سواء وفق الفكر الأنسني. ومع أنّ الفكر الديني الذي يتبنّى محورية الخالق وأنّ الإنسان عبد ينبغي أن ينظّم حياته وفق المنهج الإلهي؛ يعطي كذلك أهمّيةً بالغةً لقدرات الإنسان ودوره في الحياة، ويرفض حصر القدرة الإنسانية ومجالات حياته في الجانب المادّي، بل يؤكّد أنّ فقد المعنوية يعني حياةً حيوانيةً ملؤها التقاتل على اللذّة المحدودة. ويعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في بيان الفكر الأنسني، والمنهج التحليلي النقدي لنقد مبادئ الفكر الأنسني وما يترتّب عليه.

**الكلمات المفتاحية**: الأنسنة، كرامة الإنسان، الحرّية الفكرية، الدين والإنسان.

---

مجلة الدليل، 2023، السنة السادسة، العدد 19، ص. 145 ـ 165

استلام: 2023/01/13، القبول: 2023/02/15

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف

CC BY NC

**المقدّمة**

يسعى الإنسان إلى القدرة، ويحبّ أن يكون عالمًا وأن يتسلّط على ما حوله، ولا يريد أن يرى شيئًا خارج نطاق قدرته ومنافعه، وقد أعطي من القدرات الذاتية ما يعينه على ذلك، فهو اليوم يتعامل مع كلّ شيء وفق حاجاته ورغباته.

ومع ذلك فهو لا يستغني عن الحياة الروحية والجوانب المعنوية، فهو يحبّ الدعاء ويرغب دائمًا في السموّ والأخلاق والتعالي الروحي، وذلك بالنظر إلى طبيعة الإنسان وحاجاته وكماله.

ولمّا كان عنوان (الأنسنة) ـ بما يحمله من ادّعاء الاهتمام بالإنسان والرجوع إلى قدراته، وبما يقترن به من شعارات مؤثّرة كالكرامة والحرّية والسعادة ـ عنوان يلفت الأنظار ويجذب النفوس نحوه، بل قد تنقل من خلاله الثقافات ويتحكّم في المواقف.

بينما تضمّن تلك الشعارات والعناوين في جوانبها العملية تدمير القيم والمبادئ الإنسانية الفطرية، ويراد لها أن تحرف الإنسان عن إنسانيته الواقعية، المتمثّلة في حياته المعنوية والمادّية معًا، ولا تقتصر حياة الإنسان على الأكل والشرب واللذائذ المادّية، وهذا ما يؤكّده الفكر الديني.

نناقش في هذه المقالة أسس الفكر الأنسني ومبادئه وآثاره الاجتماعية، ومع أنّها قد تأخذ طابعًا دينيًّا، إلّا أنّ الدين الذي يطرحه الفكر الأنسني يختلف عن الدين الذي يتبنّاه الإلهيون، والإنسان الذي يربّيه الفكر الأنسني يختلف عن الإنسان الذي يربّيه الفكر الديني.

## المبحث الأوّل: مطالب تمهيدية

### أوّلًا: معنى الأنسنة (الإنسانوية)

الأنسنة أو (النزعة الإنسانية) مصطلح حديث معرب عن (Humanism)، وهو حصيلة تحوّل ثقافي فكري غربي، إذ فرّق علماء الغرب في أواخر العصر القديم وبدايات العصر الحديث بين المعارف الدينية، والمعارف المرتبطة بالمسائل الدنيوية. [موسوي، الإنسان بين المعتقد الديني والأنسنة، ص 22]

وقد نشأ ضمن أيديولوجيا راجت في إيطاليا نهايات القرن الرابع عشر من كلمة (Humanitas) اللاتينية، وهي في معناها العامّ نظام فكري احتلّت فيه القيم والنفعية وعنوان الكرامة الإنسانية مكانةً بالغةً وتجعل الإنسان مقياسًا لكلّ قيمة. [الحنفي، الموسوعة الفلسفية، ص 71]

ويمثل والتر ليبمان (Walter Lippmann) (1889- 1974) أحد صورها المتطرّفة تجاه الدين حيث يقدم أخلاقيته على أنّها أخلاقية (الإنسانوية) المتعارضة مع الربوبية، فهو يرى أنّ الناس ما عادوا يعتقدون بملك سماوي، فهم محتاجون إلى أن يجدوا في التجربة البشرية معايير الخير كافّةً، ويجب أن يعيشوا بناءً على الاعتقاد بأنّ واجب الإنسان هو أن يجعل إرادته مطابقةً لأفضل معرفة لشروط السعادة البشرية لا لإرادة الله. [انظر: لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج 2، ص 568]

ومع أنّ لهذا المصطلح معاني متفاوتةً متناسبةً مع مجال استعماله ثقافيًّا أو فلسفيًّا أو فكريًّا، وحتى قانونيًّا، إلّا أن لالاند (Lalande Andre) حاول في موسوعته الفلسفية أن يجمع بين معانيه بتعريفه الأنسنة بأنّها: «مركزية إنسانية مترويّة، تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه، واستبعاد كلّ ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لحقائق ولقوًى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال استعماله استعمالًا دونيًّا، دون الطبيعة البشرية» [المصدر السابق، ص 569].

فهذا التعريف يمكن استعماله في مجالات مختلفة (علمية، معرفية، اجتماعية، أخلاقية) وبصيغ متعدّدة، بل أيضًا حسب تحديد (المركزية البشرية) المقصودة وكونها معتمدةً فقط كمنهج أو تصل إلى مستوى نسق أو نظام فكري، وحسب ما يكون فيها مقدار استبعاد (ما فوق الطبيعة)، هذا ما يؤكّده لالاند نفسه. [المصدر السابق]

فنحن أمام مرونة خاصّة في المصطلح والفكر المقترن به؛ لذلك فإنّ استعمال مصطلح (الأنسنة) أو (الإنسانوية) أنسب من التعبير بـ (الإنسانية) مثلًا الذي قد نجده عند بعض الكتاب؛ لأنّ (الإنسانية) تشير إلى الطبيعة الإنسانية والتي يفهم منها ـ وفق الفكر الإسلامي، بل الديني بشكل

عامّ ـ ما خلق عليه الإنسان أو فطر عليه، وهي فكرة ترجع إلى الاعتقاد بوجود الخالق، وتقترن عادةً بالجوانب الأخلاقية والمقترنة بالمعنوية، وبالدين من ناحية فكرية، بينما يعبّر الفكر الأنسني عن اتّجاه معاكس لذلك، فهو فكر يريد أن يخرج الإنسان من دائرة المعنى والارتباط بالغيب إلى إنسانيته المادّية الجسدية في الأغلب، فهي أنسنة الفكر وتبعًا له السلوك؛ بمعنى تحويله من فكر ينظر إلى باطن الإنسان وحقيقته المعنوية ليرجعه إلى ذاته وما تحتاجه من كمال معنوي، إلى فكر ينظر إلى ظاهر الإنسان وجسمه المادّي وكأنّه ينظر إلى نفسه من الخارج فيفترض أنّ هذا (ما يراه) هو الإنسان، ثمّ يحوّل فكره وينسبه إلى هذا الإنسان المادّي، فهو يؤنسن فكره بهذه الطريقة، مدّعيًا أنّه يرجع إلى حقيقة الإنسان، مع أنّه إنّما يكون إنسانيًّا بتلك الطريقة التي تجعله ينظر إلى باطنه.

وعرّف بعض المعاصرين ممّن اهتمّ بالفكر الأنسني الأنسنة بأنّها: تمثّل أخلاقية النبل البشري، وأنّها تعترف بعبقرية الجنس البشري، وتمجّد عظمة إبداعه وتواجه قوّة الطبيعة الميّتة بالقوّة الحيّة للإنسان، وأنّها ذلك الجهد الذي ينمّي في داخل الإنسان كلّ الطاقات البشرية، فلا يترك شيئًا يضيع ممّا يعظّم الإنسان ويمجده. [صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ص 82]

بل يؤكد رالف بارتون بري (Ralph Barton Perry) (1876 - 1957) أنّ (المذهب الإنساني) تعبير عن تلك النوازع والمآتي وضروب النشاط التي يتوصّل الإنسان الطبيعي بفضلها إلى ما فوق الطبيعة، فإنّ نموذج المذهب الإنساني ليس الإنسان الطبيعي، ولا الإنسان فوق الطبيعي كبديل له، بل إنّه بالضبط الثنائي المؤلّف من الإنسان الطبيعي ومن إمكاناته على التسامي.

إنّ الإنسان الطبيعي مسوق دومًا نحو تنمية إمكاناته، وإنّ المنبت الذي يخرج منه هو عالمه الذي يحدّد الشروط التي لا مهرب منها لحياته العضوية النامية، والإنسان يتفحّص عالمه هذا ويتملّكه عن طريق المعرفة ويستخدمه لتحقيق المثل العليا، ويزيّنه ويتمتّع به بواسطة إحساسه الجمالي ويرتكز عليه ويتطلّع بعيدًا متخطّيًا حدوده، غير أنّه لا يرفض عالمه الطبيعي أبدًا، وهذا ما أقترحه ليكون تقريرًا أوّل لمعاني المذهب الإنساني المتعدّدة. [إبري، إنسانية الإنسان، ص 10]

## ثانيًا: نظرة تاريخية

### أ ـ الأنسنة في الفكر اليوناني

يمكن ملاحظة الاهتمام بالإنسان فكريًّا في العصر اليوناني، حيث البحوث العلمية التي تدرس حالات بالإنسان المختلفة وطريقة تفكيره، مرورًا بدراسة المعايير الأخلاقية والدينية المؤثّرة في سلوكه، وصولًا إلى تكوّن الفكر الفلسفي الذي يدرس حقيقة الإنسان والمبادئ الإنسانية

وغيرهـا [مشـگی، انسـان محـوری، ص 80]، كمـا ظهـرت السفسـطة تحـت نفـس الغطـاء عنـد بروتاغوراس (Protagoras) (481 ـ 411 ق.) أنسـنة حيـث يعطـي الإنسـان مسـاحةً واسـعةً لتأثـير الإنسـان في المعرفـة ويـرى أنّ الإنسـان هـو مقيـاس كلّ شيء، مقيـاس وجـود مـا هو موجـود، وكيف هـو موجود؟ وعـدم مـا ليـس بموجـود، وكيـف كان كذلك؟

وهـو مـا واجهه سـقراط (Socrates) (470 ـ 399 ق. م) [انظر: افلاطـون، دوره آثار افلاطـون، ج 3، ص 1377] ومـن بعـده أفلاطـون وأرسـطو، حيـث واجهوا موجـة الشـكّ والنسـبية المعرفيـة بالتأسـيس للمعرفة المعتمـدة على العقـل، والفلسـفة المتيافيزيقيـة، الـتي تعطـي للإنسـان القـدرة على المعرفـة الصحيحة مـن خـلال عقله وفكـره، بل تعطيـه مرتبة المعرفـة الحقّـة المطابقة للواقع، فـهي تعزّز مكانة الإنسـان وأهمّيته.

### ب ـ الأنسنة في عهد الكنيسة (القرون الوسطى)

تمثّـل مـا يسـمّى بالقـرون الوسـطى توجّـه البحـوث العلمية نحـو المعرفة الإلهيـة المسـيحية المقترنة مـع رفـض الفلسـفة اليونانيـة العقليـة، بينمـا كان للفلسـفة اليونانية حضورهـا في الفكر الإسـلامي وبطابـع ديـني، ولـم يكن يجد الفلاسـفة المسـلمون تعارضًا وتنافيًا بـين نتائج التفكير الفلسـفي العقلي والفكـر العقدي الديـني. [انظر: لـو، الإنسـانوية، ص 21]

### ج ـ الأنسنة في عصر النهضة والعصر الحديث

ومـع بدايـة عـصر النهضـة، ظهر اتّجـاه واضح بـين مختلف طبقـات المجتمـع يتبنّى الفكـر اليوناني القديـم، وقـد أطلق مصطلـح (humanists) على روّاد هذه الحركة من شـعراء وكتّـاب وخطباء وباحثين في مختلـف المجـالات، ويعتقـد إنسـانويو عـصر النهضـة أنّ الإنسـان الجديـد يعتمـد على نفسـه قبل كلّ شيء، ومـن ثـمّ على العالـم مـن حـوله، وقـد تحـدّث وكتـب أبـرز مفكّريهم عـن مفهوم الإنسـان القديـر، وقـد عمل الأنسـنيون على مواجهـة التعاليم المسـيحية، والترويج للرجـوع إلى الفكر اليوناني. [انظر: هاشـمی، مقايسـه تطبيقـی انسـان گرايـی در انديشـه اسـلامی و غربی، ص 34، مشـگی، انسـان محـوری، ص 81]

كان الأنسـنيون عادةً ناقديـن لبعـض التعاليـم الدينيـة أو منهـج المعرفـة الدينيـة، ثـمّ شـكّل مـا يعـرف بعـصر التنويـر خـلال القـرن الثامن عـشر الميـلادي فترة تزايـد النقـد للفكـر الديني حتّى مـن قبـل تلك الاتّجاهـات الدينيـة التنويرية داخـل الكنيسـة، فرغم توجيـه الانتقـادات إلى الدين إلّا أنّ ذلـك كان عبـارةً عـن معتقـدات دينيـة بديلـة، فحينهـا كان وجـود المعتقـدات الإلحادية ما زال نـادرًا، لكـنّ هـذه الانتقـادات نفسـها سـاهمت في تقويـة الفكـر الإلحادي فيمـا بعد.

ومـن أهـمّ مفكّـري عـصر التنويـر المسـيحي دفيـد هيـوم (David Hume) حيث أخضـع الكثير مـن المعتقـدات المفترضـة منطقيتهـا للنقـد، ليتّجـه نحـو الشـكّ والإلحـاد. ويعـدّ إيمانويـل كانـط (Immanuel Kant) (1724 ـ 1804) مـن أبـرز مفكّـري هـذه المرحلـة، وينحـدر مـن أسرة متديّنـة، وكان يـرى أنّ على الإنسـان في عـصر التنويـر أن يخـرج مـن إطـار طفولتـه ومجـرّد القبـول غـير الناقد لمـا يقـال له إلى الجـرأة على التفكـير والشـكّ، وأن يسـتخدم عقلـه إلى أبعـد حـدٍّ ممكـن، ثـمّ اتّجـه الفكـر الأنسـني خـلال القـرن التاسـع عـشر بالتدريـج إلى المعارضـة الواضحـة للإيمـان بالخالـق.

[انظر: لو، ستيفن، الإنسانوية، ص 24 – 26؛ هاشمی، مقایسه تطبیقی انسان گرایی در اندیشه اسلامی و غربی، ص 36]

## المبحث الثاني: نظرة نقدية لمبادئ الفكر الأنسني

### أوّلًا: مبادئ الفكر الأنسني

مـع مـا لفكرة الأنسـنة مـن قابلية للانطبـاق على كثير من المبـادئ والقيـم، إلّا أنّ هنـاك اتّجاهاتٍ حاولـت التأسـيس لفكـر أنسـني، ثـمّ تصـدّرت تلـك الاتّجاهـات واجهـة هـذا العنـوان حـتّى أصبح ينسـب إليهـا، وبحسـب سـتيفن لـو (Stephen Law) [لـو، الإنسـانوية (مقدّمـة قصيرة جـدًّا)، ص 9 و10] فإنّ أهمّ المبـادئ الـتي يتبنّاهـا أصحـاب الفكر الأنسـني والمنظّـرون له كالتالي:

أ ـ العلـم والعقـل أداتـان مهمّتـان للغايـة يمكننـا ويجـب اسـتخدامهما في كلّ منـاحي الحيـاة، ولا ينبـغي النظـر لأيّ معتقـدات على أنّهـا ممنـوع الخـوض فيهـا وغـير خاضعـة للاسـتقصاء العقلاني.

ب ـ الإنسـانويون إمّـا ملحـدون أو لا أدريـون، إنّهم يشـكون في وجود إله أو آلهـة، وكذلك في وجود الملائكة والشـياطين وغيرها.

ج ـ هـذه الحيـاة هي الحيـاة الوحيـدة لنـا؛ فـلا توجد حيـاة أخرى تعـود فيهـا أرواحنا إلى أجسـادنا بعـد موتنـا، كمـا لا توجد جنّـة ولا نار.

د ـ ينبـغي أن نسـتمدّ أخلاقنـا عـن طريـق دراسـة الطبيعـة الفعليـة للبـشر ومـا يسـاعدهم على الازدهـار في هـذه الحيـاة لا الحيـاة الآخـرة، ويقـدّم الإنسـانويون حججًـا وتبريـراتٍ أخلاقيـةً لا تعود للمعتقـدات أو السـلطة الدينيـة.

هـ ـ الاسـتقلال الأخـلاقي الفردي، فمن مسـؤوليتنا كأفـراد أن نصدّر أحكامنـا الأخلاقية الخاصّة، لا أن نحـاول تسـليم تلك المسـؤولية إلى سـلطة خارجيـة ما مثل زعيم سـياسي أو عقيـدة دينية لتصدر لنـا الأحـكام بالنيابة عنّا.

و ـ يمكن أن يكون لحياتنا معنى دون أن يهبنا الإله إيّاه.

ز ـ العلمانيـة، فيجـب أن يكـون المجتمـع ديموقراطيًّا تتّخـذ فيه الدولـة موقفًا حياديًّـا فيما يتعلّق بالديـن، وتحـمي حرّية الأفـراد في اتّباع الأفـكار الدينية واعتناقهـا أو رفضهـا ونقدها كغيرها.

## ثانيًا: أصول الفكر الأنسني

أهـمّ أصـل للأنسـنة هـو محورية الإنسـان بدلًا مـن محوريـة الإله، وينتج عـن هذا الأصـل الأصول الأخـرى، فمـن الجانب المعرفي على الإنسـان أن يعتمد على العقل الإنسـاني وليس الديـن، ومن الجانب العمـلي عليـه أن يخـدم الإنسـان وليس الإله، وعليـه أن يخطو لأجل رضا الإنسـان وليـس رضا الإله.

ويتجنّـب سـتيفن لو أن ينسـب لمبادئ الأنسـنة رفض الاعتقاد بوجـود خالق، ويؤكّـد أنّه لا ضرورة مـن التقيّد بتعريف للأنسـنة يسـتبعد على نحو تلقائي الذيـن لا يؤمنون بالمذهب الطبيـعي أو لا يؤمنون بوجـود إله، فهـو يـرى أن مـن يرفـض المذهـب الطبيـعي المـادّي، بل ومـن يؤمـن بوجـود إله يمكن أن يكـون إنسـانويًّا أيضًـا، وفق المبادئ الـتي ذكرهـا [المصدر السابق، ص 11 و12]، مع أنّ المبـدأ الأوّل والثاني على الخصـوص وباقي المبادئ بشـكل عام لا تتناسـب مـع الإيمان بوجـود إله خالق.

نعـم، قـد نجـد صـورة أقـلّ بعـدًا عـن الديـن والاعتقـاد بوجـود الخالـق في مثـل الأنسـنة الـتي يطرحهـا رالـف بارتـون الّذي يـرى أنّ نمـوذج المذهـب الإنسـاني ليـس الإنسـان الطبيـعي، ولا الإنسـان فـوق الطبيـعي كبديـل له، بـل هـو الثنـائي المؤلّـف مـن الإنسـان الطبيـعي ومـن قدرته على التسـامي، والإنسـان يتفحّـص عالمـه هـذا عـن طريـق المعرفـة ويسـتخدمه لتحقيـق المثـل العليـا. [انظر: بارتون، إنسانية الإنسان، ص 10]

ثـمّ إنّ رالـف بارتـون نقل كلامًـا لجاليلـو (Galileo Galilei) الذي يعدّه من قادة النزعة الإنسـانية، يتّضـح مـن خـلاله منشـأ الاختـلاف مـع الاتّجـاه الديـني السـائد حينهـا، إذ يقـول جاليلـو: «في أمر اسـتحداث الأمور الجديدة، من ذا الذي يسـتطيع أن يشـكّ في أنّ أسـوأ حالات الفوضى سـوف تحدث عندمـا تضطـرّ العقـول الـتي خلقها الله حـرّةً أن تخضـع بعبوديـة إلى إرادة خارجية؟ عندمـا يطلب منّا أن ننكـر حواسّـنا وأن نخضعهـا لـنزوات الآخرين؟ عندمـا ينصَّب أناس مجـرّدون من أيّـة كفاية حكّامًا على الخـبراء المتفوّقـين، ويمنحـون السـلطة ليعاملوهـم كما يشـاؤون! هـذه المسـتحدثات الكفيلة بأن تسـبّب خراب الشـعوب وتقويـض الدولة» [المصدر السابق، ص 15].

فهـو لا ينكـر الانتمـاء إلى الله ﷻ، لكنّـه يرفـض الخضـوع للتعبّـد كمـا تقدّمـه الكنيسـة، التعبّد بمواقـف مرتبطـة بالكـون والطبيعـة في مقابـل نتائـج العلم التجريـبي الحسّي، وهـو أحد أهـمّ جوانب المواجهـة بـين الاتّجاهات التجريبية والعلمانية بصيغها الأنسـنية، وبين الفكر الديني بصيغته الكنسـية.

## المبحث الثالث: اتّجاهات الأنسنة

لما يحتويه الفكر الأنسني وما يحمله من شعارات لها طابع جميل مثل: "كرامة الإنسان" و"حقوق الإنسان" و"حرّية الإنسان" وغيرها، فإنّ تبنّي بعض أفكاره أو استعمال شعاراته قد يؤثّر بالتدريج ليخلق اتّجاهاتٍ أنسنيةً متنوّعةً، فالأنسنة ليست دينًا ولا نظامًا اعتقاديًّا له حدّ معيّن للانتماء إليه، إنّما هي فكرة عامّة يمكن أن يدّعى الانتماء لها بسهولة.

يقول رالف بارتون: «ولكي تكون عبارة "المذهب الإنساني" ذات دلالة معنوية فلا بدّ لها من أن تحتفظ بهذه المرونة في التلوّن كمدلول لاتّجاه أو لتأكيد يعكس غموض الطبيعة الإنسانية، فإنّها لخاصّية عميقة في الإنسان» [المصدر السابق، ص 9].

وهنا سنتعرّض فيما يلي لانطباعين يمكن أن يعتبرا أنسنةً بعنوانها العامّ (الأنسنة الدينية، الأنسنة العلمانية) لملاحظة علاقة الفكر الأنسني بالدين من جهة، واهتمام الدين بالإنسان من جهة أخرى، قبل مناقشة الفكر الأنسني بشكل عامّ.

### أوّلًا: الأنسنة الدينية

تؤكّد النزعة الأنسنية على محورية الإنسان ويرى لالاند أنّ لها مذاهب شديدة الاختلاف حسب مستوى اعتمادها هذه المحورية وكونها معتمدةً فقط كمنهج أو مرفوعةً إلى مستوى نسق أو نظام، بل وحسب ما يكون فيها استبعاد (ما فوق الطبيعة) نهائيًّا أو محدودًا. [انظر: لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج 2، ص 569]

فإذا كانت محورية الإنسان عبارة عن منهج، ولم يستبعد النظام الفكري لهذا المنهج الأنسني (ما فوق الطبيعة)، فإنّ المتديّن أيضًا يمكن أن يفترض نفسه أنسنيًّا، فهو لن يجد الإيمان بوجود خالق يتنافى مع محورية الإنسان والاهتمام بكرامة الإنسان وقدراته، بل سيجد في النصوص الدينية ما يدعم ذلك ويؤيّده.

فنحن نجد بسهولة آياتٍ قرآنيةً تؤكّد كرامة الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [سورة الإسراء: 70]، فالآية الكريمة تؤكّد فضل الإنسان على كثير من الخلق، وتكريمه من الله ﷻ بتسخيرها له في طعامه وشرابه ولباسه، وفي سفره، وفي جميع ما فيه راحته.

كما تؤكّد الآيات على أهمّية العقل والاعتماد على الفكر في كثير من الموارد التي تدعو فيها إلى التعقّل والتفكّر والتأمّل في الخلق وعجائبه [انظر: سورة البقرة: 164 و266؛ سورة آل عمران: 176؛ سورة الأنعام:

32 و50؛ سورة يونس: 24؛ سورة الرعد: 3؛ سورة النحل: 11 و12؛ سورة الحج: 46؛ سورة المؤمنون: 80؛ سورة الروم: 21؛ سورة الحديد: 17 وغيرها]، وعدم اتّباع الظنون والأوهام [انظر: سورة البقرة: 170 و171؛ سورة الأنعام: 116 و148؛ سورة الأنفال: 22؛ سورة يونس: 35 و36، سورة الفرقان: 44؛ سورة النجم: 23 و28 و29 و30].

وفي بحث حول نظرية الإنسان الكامل في الإسلام الذي يمثّل خليفة الله في الأرض فصّل أحد الباحثين في بيان مميّزات الشخصية الكاملة في النظرية الإسلامية التي تركّز على جوانب إنسانية يتحلّى بها الإنسان الكامل وفق الآيات القرآنية، وذكر ضمنها:

أ ـ اليقين: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [سورة السجدة: 24].

ب ـ الثبات: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [سورة إبراهيم: 27].

جـ ـ التحلّي بالحكمة: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُو الْأَلْبَابِ**﴾ [سورة البقرة: 269].

د ـ البصيرة: ﴿**هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [سورة الجاثية: 20]، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ [سورة الأعراف: 201].

هـ ـ الكرامة والعزّة: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [سورة آل عمران: 26]، و﴿**وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة المنافقون: 8].

و ـ الحياة الطيّبة: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [سورة النحل: 97].

ز ـ الرحمة والمحبّة: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [سورة آل عمران: 103]. [انظر: نيک صفت، روش، مبانى و نظريه انسان شناسى اسلام و انسان گرايى، نشريه پژوهش و حوزه، شماره 25، بهار 1385 ش، ص 127 - 130]

كلّ هذا الاهتمام بالإنسان والتركيز على صفاته الكمالية التي ترتبط بطبيعة الإنسان المعنوية مع ملاحظة طبيعته المادّية أيضًا، يمكن أن يوصف بمحورية الإنسان، لكنّ هذه المحورية بعد محورية الخالق، وليست هي المحورية الأولى كما يتّضح من نفس الآيات وآيات أخرى في القرآن الكريم.

فالاهتمام بالإنسان بملكاته وقدراته وحاجاته، بروحه وجسده أمر مهم أكّده الخالق ، فهو لم يخلقه عبثًا بلا هدف، بل خلق سائر المخلوقات وسخّرها له: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [سورة الجاثية: 13]، في طريق تكامله، لكن كلّ ذلك تحت ظلّ عبوديته لله: ﴿**ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى**

﴿كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام: 102]، وضمن تأكيد كونه هو أيضًا من مخلوقات الله ﷻ الذي لا يخرج عن سلطانه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام: 3]، وأنّه بكلّ تلك الخصوصيات والمميّزات قد يسير في الطريق الصحيح الذي خُلق له، ويصل إلى الهدف من خلقته، ليكون فعلًا خليفة الله في الأرض: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 105]، وقد يسير في الطريق المخالف لذلك الذي يجعله متسافلًا متراجعًا عن كماله؛ ليكون أسوأ حالًا من سائر المخلوقات التي لم تعط الاختيار ولم يسخّر لها غيرها: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان: 44].

مع ذلك كلّه لا يمكن أن ينسجم الفكر الأنسني الحديث مع المبادئ الدينية، فهو ينكر الغيب والإيمان بالخالق، لكنّه اخترق المجتمع الإسلامي من خلال محاولات الجمع بين الفكر الأنسني الغربي والقيم الإسلامية، ولأنّ محور الفكر الأنسني هو الإنسان بنفسه لا من حيث هو مخلوق لله، ومحور الفكر الإسلامي هو الله ﷻ والإنسان من حيث هو عبد مطيع لله ليمثّل خلافة الله، فإنّ الجمع بين هذين الفكرين يواجه صعوباتٍ عدّةً أساسها النصوص الدينية التي تؤكّد العبودية والطاعة لله، والتي تعطي قوانين الحياة بجميع تفاصيلها وفق هذه النظرة؛ لذلك دخل الفكر الأنسني الحديث إلى المجتمع الإسلامي من نافذة تأويل تلك النصوص وفقًا لمحورية الإنسان وتنمية طاقاته والاهتمام بقدراته وحقوقه.

وقد اهتمّ رواد الفكر الأنسني الحديث في العالم الإسلامي بالترويج للقراءات الحداثية للقرآن الكريم على الخصوص، إذ تسعى تلك القراءات إلى قطيعة معرفية بينها وبين التفسير القرآني الموروث، ذلك التفسير الذي يعطي لآيات القرآن الكريم أهمّيتها ومكانتها ويسعى من خلالها لتحديد الأسس النظرية للإيمان وتقوية أسبابه العملية، بينما تأتي القراءات الحداثية لا لأخذ الاعتقاد الديني من القرآن الكريم أو النظر في أسسه ومقوّماته، بل هي تواجه الآيات القرآنية بالنقد. [انظر: طه عبد الرحمن، روح الحداثة.. مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ص 176]

وقد اتبّعت هذه القراءات ـ بحسب طه عبد الرحمن ـ خططًا انتقاديةً مختلفةً تسعى كلّ واحدة منها إلى إزالة شيء ممّا تراه عائقًا اعتقاديًّا، منها:

أ ـ خطّة الأنسنة: وتستهدف إعطاء الطابع البشري للآيات القرآنية، فتستخدم التعبير بمثل (المدونة القرآنية)، وبالتالي فالقرآن الكريم نصّ بشري له محيطه الثقافي الخاصّ ويتأثّر بالزمن.

ب ـ خطّة التعقيل: وتستهدف إخضاع الآيات القرآنية للنقد بجميع الوسائل البشرية، باستعمال

مناهج الدراسات المسيحية للكتاب المقدّس، وتطبيق المناهج الحديثة للعلوم الإنسانية، بل وحتّى تطبيق نظريات العلوم التجريبية ونقد مفاد الآيات القرآنية بها.

**جـ** ـ خطّة تاريخية القرآن: وتستهدف تحديد الآيات القرآنية في الأحداث التاريخية المقترنة بها، فلا تكون آيات الأحكام ذات قيمة قانونية؛ وقد تكون توجيهيةً فقط، ويمكن فهمها بعدّة صور، بل يشمل ذلك الآيات المرتبطة بالاعتقادات أيضًا. [انظر: المصدر السابق، ص 178 - 188]

ومن الواضح أنّ هذه الخطط مستمدّة من واقع الصراع الذي خاضه التنويريون في الغرب ضدّ رجال الكنيسة، والذي ارتكز على: محورية الإنسان لا الإله، والاعتماد على العقل دون الوحي، والعمل للدنيا لا للآخرة.

فما يقدّمه الفكر الأنسني في العالم الإسلامي بعنوان الحداثة لا يعدو كونه تقليدًا لواقع المجتمع الغربي ومشاكله، إذ أريد له أن يقطع صلته بالماضي لما انطبع في الأذهان من أشكال التخلّف التي عانوها في القرون الوسطى، رغم أنّ هذا لا ينطبق على المجتمع الإسلامي، فتلك القرون نفسها كانت تشهد على تحضر المجتمع المسلم وإنّما تراجع بعدها، لكنّهم أرادوا أيضًا له أن يتخلّى عن تاريخه! [انظر: المصدر السابق، ص 175 - 176]

فالفكر الأنسني المتلبس بلباس الدين ليس إلّا ركوبًا في أوّل عربة في طريق التخلّي عن الدين بنحو من التدريج السريع، كما يمكن ملاحظة ذلك بسهولة من خلال ملاحظة مبادئه وما يمكن أن يترتّب عليها من نتائج.

## ثانيًا: الأنسنة العلمانية

العلمانية هي أحد تجلّيات الأنسنة بصورة قانونية، فالعلمانية تعتمد على ربط الإنسان بالدنيا وبعصره بدلًا من ربطه بالآخرة، كما يرجع إلى ذلك إلى أصلها اللغوي (Secularism)، وترفض فكرة المقدّس والرجوع إلى الخالق، فتؤكّد عدم ربط الدولة والتعليم والأخلاق بالدين، فالإنسان العاقل يرى أنّ العقل هو مصدر خلاصه لا الدين، فلا ينبغي أن يكون الدين أساسًا للأخلاق والتربية والقيم. [انظر: البار، العلمانية.. جذورها وأصولها، ص 26 - 28]

فالعلمانية بوصفها حركةً اجتماعيةً تهدف إلى صرف الناس وتوجّههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها، وكونها نزعةً إنسانويةً، هي حركة مضادّة للتديّن والدين. [انظر: المصدر السابق: ص 28]

ويصّر عادل ضاهر في كتابه "الأسس الفلسفية للعلمانية" على أنّ فهم العلمانية بأنّها تقديم

سلطة الدولة المدنية على السلطة الدينية ورفض هيمنة رجال الدين ـ وبالتالي ليس للعلمانية مكان في المجتمع الإسلامي لاختلاف الظروف التي مرّ بها واختلاف علاقة الدين بالدنيا إسلاميًّا ـ ما هو إلّا رجوع إلى جذورها التاريخية وما فرضته التجربة الأوروبّية في العصور الوسطى، وأنّ للعلمانية جذرًا معرفيًّا أعمق من هذا. [انظر: عادل ضاهر، الأسس الفلسفية للعلمانية، ص 41 و 42]

لكنّه يعود في توضيحه للفكر العلماني من جذوره كما يراه، ليؤكّد أنّ الغرض الأخير للعلمانية هو تقويض الأسس التي يقوم عليها مفهوم الدولة الدينية بكلّ صورها، وذلك أنّ المهمّ في معارضة الدولة الدينية هو الطابع الكلّي لها، ومشكلة الدولة الدينية عنده ليست في كون السلطة لرجال الدين أو لغيرهم، بل إنّ لها مرجعًا مطلقًا في كلّ الشؤون الدينية والدنيوية هو الله ﷻ، سواءٌ كان هناك وسائط بينها وبين المرجع المطلق أو اقتصر الأمر على الرسل والنبيّين، فالقضيّة هي: جعل الدين في نصوصه المقدّسة المرجع الأخير في كلّ ما يخصّ شؤون الدين والدنيا على حدٍّ سواء، وهذا ما سينتج واقعًا يكون فيه لرجال الدين أهمّية كبرى. [انظر: المصدر السابق، ص 48 و49]

ويشير عادل ضاهر إلى أنّ هناك عوامل موضوعيةً ترتبط بطبيعة السياسية والاجتماع من جهة، وطبيعة البشر والتديّن من جهة أخرى، تلك العوامل هي التي تشكّل همزة الوصل الأساسية بين مفهوم الدولة الدينية وتأثير رجال الدين، وأنّ هذه العوامل يفرضها واقع البشر وليس الفكر، ففي نظره حتّى لو لم تكن الدولة الدينية وفق الفكر الإسلامي تفرض سلطة رجال الدين، فإنّ الشروط الموضوعية التي تنشأ في كنفها الدولة الدينية تفرض ذلك [انظر: المصدر السابق، ص 50 و51]، لكنّه يغفل هذا التحليل عند طرحه للدولة وفق التصوّر العلماني الذي يتبنّاه، ويفترض أنّها لا تستلزم إنكار الدين، مع أنّ مثل هذه النتيجة قد ترجع على العوامل التي يفرضها واقع البشر وليس الفكر فقط.

يؤكّد كذلك على أنّ جعل الدين المرجع النهائي في كلّ الأمور يفترض أنّ واجبات المؤمن ليست مقتصرةً على واجباته الروحية، بل تشمل واجباتٍ أخرى تتّصل بحياته العملية وتجسّداتها على المستوى السياسي والاجتماعي والقانوني، فهو ملزم بالقوانين الإلهية في تنظيم حياته، والمشكلة عنده أنّ ذلك يعني أنّ القوانين الإنسانية ليست ملزمةً للمؤمن ما لم تكن مشتقّةً من القوانين الإلهية، فالموقف العلماني يرفض أن يكون سوى الأخلاق أساسًا أخيرًا للإلزام السياسي، والأخلاق نشاط مستقلٌّ منطقيًّا عن الدين، وإن ارتبط به تاريخيًّا، والاعتبارات الخلقية يجب أن تكون هي الأساس لا الاعتبارات الدينية، فالعقل العملي (العقل الوسيلي والمعياري) وفق الرؤية العلمانية مستقلٌّ عن الدين ومقدّمٌ على النصّ. [انظر: المصدر السابق، ص 51 - 54]

ويستمرّ عادل ضاهر في عرض اعتراضاته على ما يمكن أن تؤول إليه الدولة الدينية من الرجوع إلى الفقهاء، وبالتالي حاكميتهم دون مبرّر في نظره، بل يصل إلى الاستشكال في إمكان الرجوع على الله ﷻ من خلال النصّ الإلهي، ما يعكس وجود مشكلة معرفية عنده في فهمه للدين الإسلامي، وعلى الأقلّ في إحاطته باتّجاهات الفكر الإسلامي المختلفة والتي يمكن أن تجيب على جميع تساؤلاته بوضوح من خلال مبادئ أساسية كـ "حاكمية الخالق"، و"عصمة الأنبياء"، و"ضرورة الإمامة الإلهية"، بل وجهله بعلاقة العقل بالدين وأهمّية الأحكام العقلية حتّى العملية في الدين وفق الفكر الإمامي على الأقلّ، وخلطه بين مفهوم العقل العملي والأعراف أو الأفكار الاجتماعية أو الشخصية التي تتأثّر بمؤثّرات عدّة.

## المبحث الرابع: تهافت الفكر الأنسني ونتائجه

ربّما يمكن التفصيل في اتّجاهات الفكر الأنسني، إلّا أنّنا نكتفي بأهمّ ركائز الأنسنة المذكورة، وتوضيح ارتباط ذلك بالفكر الديني وكيف يمكن أن يؤثّر عليه كما لاحظنا قبل قليل، ويتّضح ذلك من النظرة التاريخية أيضًا، وننتقل هنا إلى ذكر الملاحظات على الفكر الأنسني والآثار المترتّبة عليه بإيجاز:

### أولًا: المعرفة وفق الفكر الأنسني

تعتمد الأنسنة على المعرفة الإنسانية مدّعيةً التمسك بالعقل، وأنّ العقل البشري هو الحاكم، لكنّ المقصود من العقل في الفكر الغربي الحديث بشكل عام هو العقل المعتمد على الحسّ والتجربة، ولا مكان للعقل الرهاني عندما تكون القضايا غير حسّية، فهي عندهم إمّا غير مفهومة أو غير قابلة للاستدلال؛ لذلك يستبعد الفكر الأنسني كلّ ما يرتبط بالغيب والخالق (الميتافيزيقيا)، فهي أمور لا تؤثّر عندهم في حياة الإنسان وينبغي ألّا يلتفت إليها.

إنّ الاقتصار على المعرفة التجريبية يحرم الإنسان من مميّزات المعرفة المنطقية العقلية، وبالتالي يقلّل مساحة اليقين في المجال المعرفي للإنسان، وهذا ما أدّى إلى دخول مذهب الشكّ في الفكر الغربي وتأثيره بشكل واضح، فالمعرفة التجريبية لوحدها غير قادرة على الكشف عن الحقائق، ولها جوانب محدودة، ولا يستغني الإنسان عن المعرفة العقلية الفلسفية، فحتّى العلوم التجريبية تعتمد على أصول فلسفية. [انظر: المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص 93 - 96؛ الطباطبائي، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ص 382 – 387]

كما أنّ المعرفة الوحيانية لها أصول فلسفية، ولا يستغني الإنسان عنها أيضًا، وقد قدّمت الكثير للإنسان من الناحية العلمية والاجتماعية والأخلاقية، فهي تقدّم معارف مهمّةً لا غنى عنها لحياة الإنسان، وهذا بحث مفصّل في نظرية المعرفة.

**ثانيًا: الأسس الفكرية للأنسنة**

يركّز الفكر الأنسني على قدرات الإنسان المادّية وإلغاء ارتباطه بمبدإٍ أعلى من المادّة؛ لذلك نرى مبادئه تدور حول رفض المعرفة الدينية والارتباط بالخالق، وإنكار الحياة الآخرة.

فهو فلسفيًّا يبني على رؤية كونية ناقصة؛ ولذلك ينظر إلى الإنسان من جانب واحد فقط، ويقصر قيمته في حاجاته المادّية واهتمامه في حياته الدنيوية فقط، فهو لم يعالج سؤال: من أين أتى الإنسان؟ ولم يهتمّ به، ولا سؤال: إلى أين سيذهب؟ وإنّما يتحدث عن حياته: كيف يعيشها؟ والجواب على هذا السؤال دون تحديد الموقف الواضح من السؤالين السابقين لن يكون جوابًا دقيقًا ولا يحفظ إنسانية الإنسان وحقيقته وأهدافه التي وجد من أجلها.

وهذا إنّما جاء نتيجة تراكم مراحل من المواجهة بين الفكر الغربي التجريبي والفكر الديني المسيحي، بينما نجد قادة الفلسفة اليونانية القديمة مثل سقراط الذي يوجّه الإنسان إلى بعده الأخلاقي، فيؤكّد أن يعرف الإنسان نفسه أوّلًا على حقيقتها المتمثّلة في الروح، ويرى أنّ الإنسان في حقيقته مخلوق لله وعبد له، وأنّ فضيلته في عبوديته لربّه [انظر: كرد فروزجايى، يارعلى، سير تكوين انسان مدارى در فلسفه غرب، نشريه معرفت، شماره 69، شهريور 1382 ش]، ثمّ كان لأرسطو محاولة لوضع نظرية عقلانية أخلاقية قائمة على دراسة وثيقة لطبيعة البشر، وتركيز منظومته الأخلاقية ينصبّ على كيفية تحقيق نوع معيّن من السعادة أو الرفاهية في هذه الحياة، وليس في حياة ما ستأتي لاحقًا، دون أن يعني ذلك التخلّي عن حقيقة الإنسان المرتبطة بما وراء الطبيعة، ومع ذلك كان لأخلاق الفضيلة عند أرسطو تأثير بين الأخلاقيين المعاصرين، ومنهم الإنسانويين. ويقصي الفكر الأنسني المعرفة الدينية ويرى رجوع الأخلاق والبناء الفكري للمجتمع إلى المعرفة التجريبية، وأنّ المقياس النهائي لتلك المعارف هو مصلحة الإنسان، ولا مكان للرجوع للخالق، فبناءً على مباني الفكر الأنسني المتقدّمة فإنّ الأخلاق يجب أن ترجع إلى دراسة الإنسان وفق حالته المادّية وحياته في هذه الدنيا فقط. [انظر: لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج 2، ص 568؛ عادل ضاهر، الأسس الفلسفية للعلمانية، ص 53 و54]

بناءً على هذا الاتّجاه تتحوّل المعارف المرتبطة بالإنسان (أخلاقيًّا واجتماعيًّا) إلى معارف نسبية، فلا يوجد حقائق وقيم أخلاقية، وإنّما هناك مصالح يريد الإنسان تحقيقها، وبناءً عليها يؤسّس

قيمه الأخلاقية، ونتيجة ذلك على المستوى المعرفي؛ فكلّ مجتمع وكلّ فرد يمكن أن يرى أنّ قيمًا معيّنةً هي الصحيحة وغيره يرى قيمًا أخرى هي الصحيحة.

وأيضًا ومن أجل الوصول إلى السعادة الحقيقية في الحياة الدنيوية فنحن نحتاج إلى دين صحيح، فإنّنا لا نعرف كلّ جوانب الأمور ومصالحها ومفاسدها خصوصًا خلال فترة زمنيّة طويلة، فربّما نعتبر أمرًا حسنًا لما يأتي بنفع آني في الزمن الحالي، في حين يجلب أضرارًا فادحةً في المستقبل البعيد؛ ولهذا نعتقد أنّ الدين بأحكامه الشرعية يضمن لنا السعادة الدنيوية والأخروية وبصورة ثابتة.

## ثالثًا: الآثار الاجتماعية للفكر الأنسني

النظرة الأنسنية للإنسان ولسعادة الإنسان على أنّها هي السعادة الدنيوية خصوصًا مع إنكار الجانب الميتافيزيقي في الفكر الإنساني، يحوّل السعادة الإنسانية إلى تلبية الحاجات المادّية والغريزية على الخصوص، وبذلك يتحوّل الإنسان إلى حيوان في الواقع، وليس له أيّ امتياز عن الحيوانات سوى بعض قدراته على التصرّف في الكون والمخلوقات الأخرى، فالأنسنة تحوّل الإنسان إلى حيوان له شيء من القدرات الخاصّة.

وبذلك سيعيش الإنسان في داخله حالةً من الانفصال عن حقيقته، فبعد إثبات أنّ الإنسان له روح وجانب معنوي مهم، سيكون الإنسان الذي يؤمن بالأنسنة يحاول التخلّص من حالته الروحية، أو إغمارها ودفنها، وهذا ما يضعف حالته الإنسانية ويحوّله إلى حيوان يشبه الحيوانات المفترسة، فهو يسعى إلى تحقيق رغباته الغريزية، وسيحوّل التركيز على الملذّات والغرائز الفردَ إلى وحش، وبالتالي المجتمع إلى مجتمع متقاتل.

ونتيجة هذه الفكرة ليست سعادة الإنسان، فهم يؤسّسونها بعنوان أنّها توصل إلى السعادة، لكنّنا بعد تحليلها وملاحظة نتائجها سنجد أنّها توصل الإنسان إلى حالة من العبودية للذّات والشهوات والهوى، وهذا ما يؤدّي إلى الأنا والمحافظة على المصالح الشخصية، ثمّ إلى الفساد الاجتماعي والحروب والاقتتال.

ومن جهة أخرى فإنّ الحياة تتحوّل إلى حياة خاوية لا معنى لها ولا قيمة لها وفق الفكر الأنسني؛ فهي ساعات وأيّام ستنقضي لذائذها سريعًا ثمّ سيفنى الإنسان بعدها وينتهي كلّ شيء. [انظر: الموسوي، الإنسان بين المعتقد الديني والأنسنة، ص 71 و72]

## رابعًا: الأنسنة في مواجهة الدين

مع محاولات التأكيد على أنّ الأنسنيين فيهم مؤمنين وملحدين، وهناك محاولات للجمع بين

الأنسنة والدين، إلّا أنّه يمكن القول إنّ الأنسنيين هم على أقلّ تقدير منسجمون مع عدم الإيمان بالله ورفض الدين، يمكن ملاحظة ذلك من خلال نظرة إلى تاريخ الأنسنة من جهة، وإلى فكرة الأنسنة وأهمّ قواعدها من جهة أخرى، فإنّ جعل الأصالة للإنسان في مقابل الله دفعه شيئًا فشيئًا نحو العلمانية وإقصاء الدين عن حياة الإنسان ورفض الإيمان بالخالق الحكيم المؤثّر والمدبّر، فقد نشأ تفسير جديد للخالق والتعاليم الدينية، مبنيٌّ على الإيمان بوجود خالق ونفي تدخّله في حياة الإنسان، ونفي دور الدين وتعاليمه في إدارة الحياة، لينتج عن ذلك ما يسمّى بالإلهيات الطبيعية أو الدين الطبيعي، الذي يصوّر الاعتقاد بوجود خالق بأسلوب مادّي وفق منهج العلوم الطبيعية، ويربط تأثير الدين بالحياة الفردية، ثمّ ظهرت اتّجاهات التشكيك في وجود الخالق ودور الدين في الحياة، ثمّ إنكار ذلك والإلحاد. [انظر: رجبی، انسان شناسی، ص 50 و 51]

وتمثّل خطوات التخلّي عن الدين تلك مراحل سار فيها الفكر الأنسني، فالتصوّر الذي يقدّمه مثل والتر مثلًا عن الخالق والدين لا ينسجم مع ما تقدّمه الأديان السماوية؛ فهو يتضمّن نفيًا وإبطالًا للنظريات والقيم الدينية، فحتى الأنسنيين (المؤمنين) لا يرون الدين ولا الخالق هدفًا نهائيًّا ومرجعًا أساسيًّا في حياتهم، بل كلّ شيء يجب أن يكون في مصلحة الإنسان المادّي وخدمته فقط.

ولذلك يؤكد ديويس (Stephen Davies) أنّ الأنسنة تتضمّن التحرّر من التعاليم الدينية، ولها معانٍ لا تتناسب مع الإيمان؛ لذلك يعتمد عليها العلمانيون واللادينيون في محاربة الدين. [انظر: المصدر السابق، ص 50 و51]

فالأنسنة تأخذ بالتدريج إلى إفراغ الدين عن محتواه، وإلغاء تأثيره في حياة الإنسان وأهدافه، لتوجّه نظره إلى دنياه المادّية فقط، ثمّ لن يكون لاعتقاده أثر على حياته، وبالتالي لا قيمة له عمليًّا بالنسبة للإنسان المادّي، ومن هنا فلا أهمّية للإيمان بوجود الخالق وعدمه، فلن يكون له معنى أصلًا، إذ لا أثر له على مستوى العالم التجريبي، وليس ذلك إلّا طريق الإلحاد.

فكان منتقدو الحركة التنويرية يؤكّدون أنّ حالة تجاوز المقدّسات والشكّ التي أشاعها فلاسفة العصر الحديث أضعفت أساسات النظم الاجتماعي، وساهمت في ظهور شكل الحكم القاسي، فالتنوير كان طريقًا نحو دنيا حديثة تفتقر إلى الروح، وتوجّه نحو حياة مادّية بلا إيمان وبلا هدف، يتحوّل الإنسان فيها إلى إنسان تائه غريب، فإنّ توجيه الأصالة إلى وجود الإنسان لا إلى وجود الله ﷻ، وأخذ الأنسنيون شيئًا فشيئًا إلى العلمانية وتحديد دور وجود الخالق في الحياة ونبذ الدين بشكل عامّ. [انظر: هاشمی، مقایسه تطبیقی انسان گرایی در اندیشه اسلامی و غربی، ص 36]

فلـم تكـن الأنسـنة عنوانًـا مذهبيًّـا أو منهجًـا فلسـفيًّا محـدّدًا، بـل هي نـوع تفكير يتجـلّى بصور متعـدّدة قـد يؤسّـس له بأصـول عمليـة متنوّعـة؛ لذلـك كان الاتّجـاه نحـو نبـذ الديـن أيضًا متنـوّعًا في اتّجاهـات متعـدّدة، مـن طرح تفاسـير وقـراءات جديدة للديـن والتعاليم الدينيـة، أو نـفي تدخّل الإله في الحيـاة، إلى الشـكّ في الديـن والخالـق، حـتّى إنـكار ذلـك تمامًـا. [انظر: المصدر السابق، ص 36]

وأخـيرًا فـإنّ نتيجـة قـول الأنسـنيين بكفايـة العقـل البـشري لتضمـين سـعادته أدّت إلى كـوارث وفجائـع كبـيرة في القـرن المـاضي، مثـل الحربـين العالميتـين واسـتعمار الدول الضعيفـة و... ممّا جعل المفكّريـن والفلاسـفة الغربيـين يعيـدون النظـر في مـا كانـوا يعتقـدون بـه مـن الاعتمـاد المفرط على العقـل البـشري والنظـرة العدائيـة تجاه الديـن، واضطـرّوا إلى القـول بالأنسـنة وفكر ما بعـد الحداثة الذي يفسـح مجـالًا للدين.

**الخاتمة**

على تشتّت الفكر الأنسني يمكن فهم أهمّ ملامحه وتحديد غاياته بملاحظة جذوره وتاريخه، وفي ختام جولتنا ننتهي هنا إلى أهمّ النقاط التي مرّت خلال البحث كالتالي:

معنى الأنسنة:

1ـ لا يمكن اعتبار الأنسنة اتّجاهًا فكريًّا فضلًا عن كونها منهجًا أو فلسفةً، بل هي عبارة عن فكرة عامّة يمكن ادّعاء الانتماء إليها في كلّ المجالات وعلى مستويات مختلفة، وفي الحقيقة ليست الأنسنة في عداد سائر المدارس الفكرية، بل يمكن اعتبارها باراديغمًا يهيمن على المناهج والتيّارات الفكرية والمدارس الفلسفية. نعم، الأنسنة لها ساحة فسيحة جدًّا.

2ـ تجعل الأنسنة الإنسان مركز الوجود ومقياسًا لكلّ قيمة وترفض ما فوق الطبيعة، وتعتبر الإنسان موضوعًا طبيعيًّا، فتركز على النفعية والمصالح المادّية.

3ـ تؤكّد الأنسنة قدرة الإنسان على تحقيق الذات من خلال العقل وفي حدود المنهج العلمي التجريبي فقط.

4ـ أهمّ المبادئ التي يتبنّاها الفكر الأنسني تتمثّل في: الاعتماد على العلم والعقل في كافّة مناحي الحياة، والشكّ في وجود إله أو آلهة، وهذه الحياة هي الحياة الوحيدة، وينبغي أن تستمدّ الأخلاق عن طريق دراسة الطبيعة الفعلية للبشر وما يساعدهم على الازدهار في هذه الحياة لا الحياة الآخرة، ويمكن أن يكون للحياة معنًى دون الإله، وينبغي أن تتّخذ الدولة موقفًا حياديًّا فيما يتعلّق بالدين.

5ـ إذا كانت محورية الإنسان عبارة عن منهج، ولم يستبعد النظام الفكري لها (ما فوق الطبيعة) فلن يكون الإيمان بوجود خالق يتنافى مع محورية الإنسان.

6ـ الاهتمام بالإنسان والتركيز على صفاته الكمالية المعنوية مع ملاحظة طبيعته المادّية يمكن أن يوصف بمحورية الإنسان، لكنّها تأتي بعد محورية الخالق.

7ـ النصوص الدينية تؤكّد العبودية والطاعة لله، وتعطي قوانين الحياة بجميع تفاصيلها وفق هذه النظرة.

8ـ محور الفكر الأنسني هو الإنسان بنفسه لا من حيث هو مخلوق لله، ومحور الفكر الإسلامي هو الله ﷻ، والإنسان من حيث هو عبد مطيع لله ليمثّل خلافة الله، فالجمع بين هذين الفكرين يواجه صعوباتٍ عدّة.

9ـ اهتمّ روّاد الفكر الأنسني الحديث في العالم الإسلامي بالترويج للقراءات الحداثية للقرآن الكريم، لا لأخذ الاعتقاد الديني أو النظر في أسسه ومقوّماته، بل لمواجهة الآيات القرآنية بالنقد.

10ـ ما يقدّمه الفكر الأنسني في العالم الإسلامي بعنوان الحداثة لا يعدو كونه تقليدًا لواقع المجتمع الغربي ومشاكله.

11ـ الغرض الأخير للعلمانية هو تقويض الأسس التي يقوم عليها مفهوم الدولة الدينية، فتؤكّد عدم ربط الدولة والتعليم والأخلاق بالدين، والعقل هو مصدر خلاص الإنسان لا الدين.

12ـ يلاحظ على الفكر الأنسني: أنّه بالاقتصار على المعرفة التجريبية يحرم الإنسان من مميّزات المعرفة المنطقية العقلية، وبالتالي يقلّل مساحة اليقين في مجال المعرفة.

13ـ فلسفيًّا يبني الفكر الأنسني على رؤية كونية ناقصة؛ لذلك يقصر قيمة الإنسان في حاجاته المادّية واهتمامه في حياته الدنيوية فقط، ولا يحفظ إنسانية الإنسان وحقيقته وأهدافه التي وجد من أجلها.

14ـ المقياس النهائي للمعرفة الأخلاقية والاجتماعية في الفكر الأنسني هو المصلحة الدنيوية فقط، فهي معارف نسبية، ولا تمثّل حقائق، وإنّما هي مصالح.

15ـ الإنسان الذي يؤمن بالأنسنة سيحاول التخلّص من حالته الروحية ودفنها أو إغمارها؛ لأنّه يعيش في داخله الانفصال عن حقيقته بالاقتصار على جانبه المادّي.

16ـ تتحوّل الحياة إلى حياة خاوية لا معنى لها ولا قيمة لها وفق الفكر الأنسني؛ فهي ساعات وأيّام ستنقضي لذائذها سريعًا ثمّ سيفنى الإنسان بعدها.

17ـ تفرغ الأنسنة الدين عن محتواه، وتلغي تأثيره في حياة الإنسان، فتوجه نظره إلى دنياه المادّية فقط، فليس لاعتقاده أثر على حياته وبالتالي لا قيمة له عمليًّا، ولن يكون للإيمان معنى، وليس ذلك إلّا طريق الإلحاد.

**قائمة المصادر**

القرآن الكريم.

افلاطون، دوره آثار افلاطون، ترجمه: محمدحسن لطفی، انتشارات خوارزمی.

البار، محمدعلي، العلمانية.. جذورها وأصولها، دار القلم، الطبعة الأولى، 2008 م.

الحفني، الدكتور عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، مكتبة مدبولي.

الطباطبائي، محمدحسين، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ترجمة: عمار أبو رغيف.

المصري، أيمن، أصول المعرفة والمنهج العقلي، الأميرة للطباعة، الطبعة الأولى، 2012 م.

بدوي، عبد الرحمن، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، دار القلم، 1403 هـ.

رجبی، محمود، انسان شناسی، مؤسسه آموزشی و پژوهشی امام خمینی، 1398 ش.

صالح، هاشم، مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة، الطبعة الأولى 2005 م.

ظاهر، عادل، الأسس الفلسفية للعلمانية، دار الساقي، الطبعة الثانية، 1998 م.

عبد الرحمن، طه، روح الحداثة.. مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2006 م.

کرد فروزجایی، یارعلی، سیر تکوین انسان مداری در فلسفه غرب، نشریه معرفت، شماره 69، شهریور 1382 ش.

لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، 2001 م.

لو، ستيفن، الإنسانوية (مقدّمة قصيرة جدًّا)، ترجمة: ضياء ورّاد، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، 2016 م.

مشگی، مهدي، انسان محوری، نشریه معرفت، شماره 220، 1395 ش.

موسوي، روح الله، الإنسان بين المعتقد الديني والأنسنة، مؤسسة الدليل، الطبعة الأولى، 2019م.

نیک صفت، ابراهیم، روش، مبانی و نظریه انسان شناسی اسلام و انسان گرایی، نشریه پژوهش و حوزه، شماره 25، بهار 1385 ش.

هاشمی، خدیجه و ... مقایسه تطبیقی انسان گرایی در اندیشه اسلامی و غربی، نشریه قبسات، شماره 70، زمستان 1392 ش.

پري، رالف بارتون، إنسانية الإنسان، ترجمة: سلمى الخضرا الجيوسي، مكتبة المعارف، 1961م.